عمران
للدراسات الاستراتيجية
OMRAN
For Strategic Studies

معركة جوبر
نموذج متقدم في المقاومة

تقدير موقف
مسار السياسة والعلاقات الدولية

مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مؤسسة بحثية مستقلة ذات دور رائد في البناء العلمي والمعرفي لسوريا والمنطقة دولةً ومجتمعاً وإنساناً، ترقى لتكون مرجعاً لترشيد السياسات ولرسم الاستراتيجيات.

تأسس المركز في تشرين الثاني/نوفمبر 2013 كمؤسسة بحثية تسعى لأن تكون مرجعاً أساساً ورافداً لصنّاع القرار في سوريا والمنطقة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. يُنتج المركز الدراسات المنهجية المنظّمة التي تساند المسيرة العملية لمؤسسات الدولة والمجتمع، وتدعم آليات اتخاذ القرار، وتحقق التكامل المعلوماتي وترسم خارطة الأولويات.

تعتمد أبحاث المركز على الفهم الدقيق والعميق للواقع، ينتج عنه تحديد الاحتياجات والتطلعات ممّا يمكّن من وضع الخطط التي يحقّق تنفيذها تلك الاحتياجات.

الموقع الإلكتروني www.OmranDirasat.org
البريد الإلكتروني info@OmranDirasat.org

تاريخ الإصدار 19 شباط/ فبراير 2015

جميع الحقوق محفوظة © مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

ملخص

لا تزال المعارك قائمة بين قوات النظام الحاكم وقوات الثورة على أطراف دمشق في بلدة جوبر دون حسم لأي من طرفي الصراع، وحينما لا تحقّق المعارك الهدف السياسي المناط بها تمسي عبئاً على الطرف المهاجم الذي يخسر بسبب استمرارية مقاومة الخصم، وحيث بات النظام يدرك أنّ خصمه يراهن على قوة الإرادة كأساسٍ للصمود والاستمرارية حاول تجريب استراتيجية كسر هذه الإرادة بتكتيكات تتراوح ما بين الإبادة وعرض المصالحة، وهو ما لم ينجح النظام بتحقيقه إلى غاية الآن.

منذ نحو عام ونصف تدور اشتباكات عنيفة على أطراف "بلدة جوبر" بين قوات النظام وميلشيا أبو الفضل العباس من طرف العاصمة والمعارضة المسلحة المتمثلة بـ (الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، الجبهة الإسلامية ممثلة بجيش الإسلام، فيلق الرحمن، جند العاصمة، وألوية الحبيب المصطفى، جيش الأمة) ويرابط على أطراف الغوطة الشرقية جوبر كل من ألوية أسود الغوطة. وقد تركزت الاشتباكات ضمن عدة نقاط أبرزها المنطقة الشرقية للحي من طرف "المتحلق الجنوبي"، ومحيط "ثكنة كمال مشارقة" التي تسيطر عليها قوات النظام وعلى جهات "المناشر والخامسية والاتصالات، فيما بات شارع "الأصمعي-السوق الرئيسي بجوبر"، بالإضافة إلى الأروقة القريبة من برج "المعلمين "برج القناصين" مناطق مهجورة.

تقع بلدة جوبر على مسافة لا تتجاوز 800 م فقط من ساحة العباسيين في قلب العاصمة دمشق، وتكمن أهميتها الاستراتيجية في أنها البوابة الجنوبية-الشرقية للعاصمة، والمدخل الرئيس نحو الغوطة الشرقية

محاولات يائسة لقوات النظام

ما تزال تحاول قوات النظام والميلشيات المساندة له تحقيق اختراق في جهة جوبر كونها مركزاً متقدماً لقوى المعارضة ولدفعها للتقهقر، وذلك ضمن سياق نهج النظام في استكمال تأمين العاصمة "دمشق" وإبعادها عن التكتيكات والاستراتيجيات العسكرية لقوى المعارضة، وذلك من خلال ما يلي:

- انتهاج أسلوب القضم التدريجي وتدمير الأبنية المعيقة لتقدم القوات البرية بالتزامن مع استمرار عمليات الاستنزاف النارية. حيث استخدم النظام من أجل ذلك ست عربات من منظومة كاسحة للألغام الروسية "YR77"[1] بهدف فتح الطريق أمام دباباته، وهدم الأبنية التي تتمركز فيها المعارضة. وهو ما مكن قوات النظام أحياناً من التقدم جزئياً والتمركز في بعض الأبنية الخاضعة لسيطرة المعارضة بعد استهداف الحي بعدة صواريخ أرض-أرض قصيرة المدى من طرازي "الفيل وبرق" ذات القدرات التدميرية الهائلة، وذلك تمهيداً لاقتحام الحي.

[1] وهو سلاح روسي يتمتع بقدرة تدميرية عالية، ويعتمد على شحنة مدفوعة بواسطة مقذوف صاروخي، تحوي ثلاثة صواريخ على منصة الإطلاق، ويصل مدى الصاروخ إلى نحو 500 متر، ويمكن أن يُسوي منطقة بعرض 6 أمتار، وطول يمتد حتى 90 متراً بالأرض.

- التدعيم اللوجستي الدائم من خلال تجميع التعزيزات العسكرية (آليات ومدرعات وحشود مقاتلين) في أقرب نقطة لجوبر من دمشق (ملعب العباسيين) تحسباً لتقدم مفاجئ لقوات المعارضة، ولتأمين الامداد للمقاتلين على خط الجبهة.
- تطبيق سياسة الأرض المحروقة لرفع كلف خسائر المدنيين عبر الغارات الجوية والبراميل المتفجرة، وتأليبهم ضد المعارضة المسلحة لدفعها لإيقاف القتال، حيث تقوم طائرات النظام بقصف الحي بشكل مركّز بعشرات الصواريخ المظلية، واستخدام الغازات السامة بمركباتها الكيماوية "غاز الكلور" عدة مرات ([2]).
- إضعاف قدرة مقاتلو المعارضة في جوبر من خلال قطع طرق امدادهم من عمق الغوطة الشرقية عبر منطقتي زملكا (وهي نقطة وصل بين جوبر والغوطة الشرقية) وطيبة (الواقعة على أطراف المتحلق الجنوبي الذي يفصل العاصمة عن جوبر).

يستهدف النظام الحي بالأسلحة المتوسطة والرشاشات المتمركزة على "برج 8 آذار" والمشفى العسكري "، وسط قصف من الدبابات المتواجدة على أطراف الحي، وداخل "رحبة الدبابات" في حي القابون، تساندها المدفعية الثقيلة المتمركزة على سفوح جبل قاسيون

ترافق العملية العسكرية وسائل ضغط سياسية يروج لها إعلام النظام، قائمة على الدفع باتجاه حلول تسكينية تفيده في تجميع قدراته العسكرية، كاتفاق الهدن والمصالحة مقابل توفير الخدمات والأمن، ساعياً من وراء هذا الترويج تحقيق المكسب السياسي الذي لا يزال يعجز عن تحقيقه بالأدوات العسكرية، بالإضافة إلى التأثير على خيارات الناس وتفريغ المناطق المحررة من سكانها. وتعد هذه الوسائل استمراراً واضحاً لسياسة الابتزاز بالملفات الإنسانية.

والجدير بالذكر أنه في 31 كانون الأول 2014، وعلى إثر سلسلة الهزائم المتتالية التي تعرضت لها قوات النظام في جبهات الجنوب والشمال، ونظراً لحالة الاحتقان السائدة لدى المكونات المجتمعية المؤيدة للنظام والتي تشعر بأنها في معركة استنزاف دون أفق، حاول النظام السوري تكرار تجربة الانتصارات النفسية في داريا وقام الأسد بزيارة منطقة ملاصقة لجوبر لم تغير معطيات الاشتباك في هذه الجبهة.

[2] للمزيد راجع الرابط التالي: http://goo.gl/EmV83B

تكتيك المعارضة والفرص القائمة

ما يربك قوات النظام في جبهة جوبر هو اتباع قوى المعارضة المسلحة تكتيك الانفاق الأرضية الذي حاولت قوات النظام استنساخه إلا أنه لم يحقق الفاعلية المرتجاة منه، وقد حقق هذا التكتيك عدة مزايا لقوى المعارضة نذكر منها:

- توفير عامل حماية وأمان ساهم في خفض استنزاف القدرات القتالية وتنفيذ أعتى المهام وأعقدها في كسر الحصار جزئياً عن منطقة الغوطة، وامتلاك عنصر المفاجأة.
- مضاعفة القدرات القتالية واستنزاف قوى النظام بالوصول إلى مقرات النظام (تفجير كتيبة الهندسة في فيلق الرحمن لنفق حفرته قوات النظام على الخطوط الأمامية لبلدة جوبر)، وتدمير عدد من منشآته الحيوية (تفجير مبنيين على أطراف قطاع طيبة)، والسيطرة على بعضها الآخر (اقتحام ثكنة كمال مشارقة من قبل الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام وبعض الفصائل واغتنام كميات من الأسلحة والذخيرة).
- تعزيز وسائل الاتصال السرية واحكام الربط بين مراكز القيادة وخطوط الجبهة.
- كما شكّلت معابر إمدادات قتالية لإيصال المؤن والأفراد والإمدادات إلى مواقع القتال.

استطاعت قوات المعارضة تدمير عدد من دبابات النظام في قطاعي طيبة والمناشر، والتصدي لعمليات النظام في الالتفاف ومحاصرة جوبر عبر محور حرستا، وقتل عدد من قوات النظام المجهزة لاقتحام الحي قبيل زيارة الأسد لأطراف الحي بيوم واحد، ومن ثم استرداد النقاط التي فقدتها، بعد توحيد جميع الكتائب المقاتلة في بلدة جوبر الدمشقي تحت مسمى "جند العاصمة"[3]. لأمر الذي مكنها من الحفاظ على تموضعاتها العسكرية.

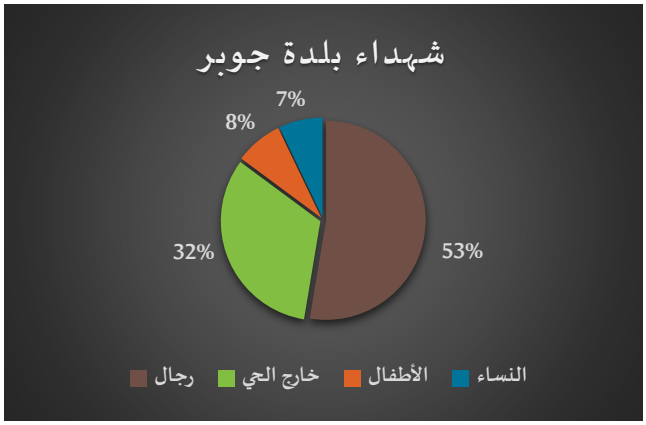

لا تعني حالة الصمود والمقاومة التي تبديها جبهة جوبر أنها انعكاساً وتناغماً بين صفوف قوى المعارضة بشقيها السياسي والعسكري بقدر ماهي حالةً خاصة وتفوقاً على الظروف الصعبة التي تعيشها الفصائل المتواجدة في جبهة جوبر التي اتقنت إلى الآن التعامل مع المعطيات العسكرية بشكل مباشر وضمن حدود المنطقة الجغرافية وصد وتحجيم طموح النظام بعد سيطرته على المليحة، وهذا ما يوجب على القيادة السياسية لقوى المعارضة السورية تحسين شروط هذه الجبهة سياسياً وإغاثياً وطبياً، بالإضافة إلى العمل على تمتين الجبهة الداخلية للغوطة الشرقية التي تشكل حصناً مانعاً لأي استراتيجية عسكرية تتبعها قوات النظام أو ميلشياته العسكرية.

[3] للتعرف أكثر على الفصائل التي توحدت تحت مسمى جند العاصمة، راجع الرابط الثوري: http://goo.gl/e2lX6y

والجدير بالذكر أنه بلغ عدد شهداء الحي 1650 شهيد منذ بداية الثورة حتى 1 كانون الثاني 2015 وفق الإحصائيات الصادرة عن المكتب الإعلامي في بلدة جوبر (850 من الرجال-125 من الأطفال-115 من النساء-525 خارج الحي).

نتائج وتوصيات

يدرك النظام حاجته لنصرٍ يعزز فيه من ثبات جبهته الداخلية يرمّم فيها صورته المتآكلة، إلا أن حقائق وضعه في معادلة الصراع تفقده أدوات تغيير الواقع وتحدّ من قدرته على التحكّم بمسار الأحداث. وإدراكاً لصعوبة سحق خصمه انتقل نظام دمشق إلى استراتيجية كسر إرادة القتال لدى القوى الثورية، متّبعاً تكتيكات تمزج بين الأدوات العسكرية والوسائل السياسية الضاغطة على الحاضنة الشعبية.

ومن جانبها تدرك الفصائل العسكرية للثورة المنتشرة على جبهات بلدة جوبر الفارق الشاسع لنوعية الأسلحة التي في حوزتها مقارنة بتلك التي يمتلكها النظام، إلا أنها تعي مكمن قوتها المتمثّلة في نهج المقاومة الحازمة، التي تصدم استمراريتها قوات النظام وتثبط عزيمتها وتؤخر فرص تحقّق طموحاتها العسكرية، ناهيك عن أن استمرار المعارك يُضعف صورة النظام المستقرة لدى مؤيديه وحلفائه، كما يراكم خسائره ويضع مناصريه أمام استحقاق استنزافٍ طويل الأمد، ولا سيما أنه بدأت ملامح النقمة عليه بالتصاعد لدى حاضنته الشعبية، وهو الأمر الذي يمنح قوى الثورة المزيد من الوقت لتعزيز موقعها التفاوضي في أطروحات الحل السياسي على الصعيدين المحلّي والعام.

وأمام إدراك حقائق الصراع القائمة يتوجب على المعارضة بشقّيها العسكري والسياسي توظيف حالة اللاحسم لصالحها، وبناء عدد أكبر من نماذج استنزاف النظام (جوبر- داريا - دوما...) وإشعاره دوماً بإمكانية تهديد قواه المتمركزة بالعاصمة، والعمل على تعزيز وسائل الردع التي استهلّتها قوى الثورة، مع ضرورة استغلال بوادر الصراع الذي تعيشه حاضنة النظام وارتفاع كلف خسائرها وعدم قدرتها على الاستمرار في حربٍ مفتوحة بلا أمل.

عمران
للدراسات الاستراتيجية
OMRAN
For Strategic Studies

Turkey, Istanbul
Tel. +90 (212) 263 41 74 - **Fax.** +90 (212) 263 41 75
www.OmranDirasat.org - info@OmranDirasat.org